

التأصيل الإسلامي للأنثروبولوجيا من خلال نماذج من القرآن الكريم

أ. نعيمة رحمانى

أ. عبد القادر معازيز

جامعة تلمسان

الملخص:

يتضمن القرآن الكريم القيم الإنسانية الكبرى التي تشكل المشترك البشري، ويعرض التنوع في الجنس واللون واللغة والثقافة. قال تعالى ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾¹

إن التأصيل الإسلامي للمعرفة ليست غاية المسلمين فقط إنما هو أمر يهم البشرية جمعاء. قال تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾²

سنحاول هنا أن عرض بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإنسان، بنظرة موضوعية وعلمية، تمتاز بالشمولية، والوضوح. والقصد هو التعرف على التصور الإسلامي للإنسان. ولا نريد في هذا المقام أن نرصد الاختلافات مع ما جاء به القرآن ومع التصورات والتفسيرات الغربية المنبثقة من رؤيتهم الخاصة، فرصيدنا العلمي والمعرفي مختلف عن رصيدهم وإن التقى معهم في بعض الجزئيات فهو يختلف في كثير منها.

مقدمة:

يحاول الباحث الأنثروبولوجي وصف الخصائص الإنسانية، والبيولوجية، والثقافية للجنس البشري عبر الأزمان، وفي مختلف المناطق الجغرافية، كما يسعى إلى تحليل الصفات البيولوجية والثقافية كأنساق مترابطة ومتغيرة، إضافة إلى بحثه في مجال النظم الاجتماعية والتكنولوجية والإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته.

ومن ناحية أخرى نجد أن الأنثروبولوجيا تقوم على مقارنة الشعوب والمجتمعات بعضها ببعض، وتحاول تجسيد فكرة أن الجنس البشري واحد، لكن هذه الحقيقة موجودة في القرآن الكريم الذي انزل أصلاً لهداية الناس ومحوره الرئيسي هو الإنسان، وبالتالي كل ما يتعلق بالإنسان موجود في القرآن. وهنا يمكن لكل الأبحاث الأنثروبولوجية العلمية العربية أو الغربية المبنية على الحقائق العلمية أن تلتقي مع القرآن في نفس الهدف ونفس الحقائق.

1) تعريف الأنثروبولوجيا:

تهتم الأنثروبولوجيا بوصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ويحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، من خلال استعمال نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما يهتم هذا العلم أيضاً بدراسة السلالات البشرية، والخصائص الوراثية للشعوب، ووصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية، ويهتم الأنثروبولوجيون بالقضايا العملية في مجالات التنمية الاقتصادية، الصحة، الإدارة وغيرها... إلخ. وعموماً يمكننا القول بأن الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان طبيعياً، اجتماعياً، وحضارياً.³

2) بواكير الفكر الأنثروبولوجي:

هناك من العلماء من يردّ بدايات تاريخ الأنثروبولوجيا إلى العصور القديمة مع الرحالة هيرودوث، غير أنّ الأنثروبولوجيين الأوروبيون، يرجعون الأصول الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا إلى عصر

التنوير في أوروبا،⁴ أين ظهرت كشوفات جغرافية وثقافية لبلدان غير أوروبية، وتم من خلالها جمع معلومات اثنوغرافية هامة عن تلك المجتمعات الإنسانية وثقافتها وتطورها. لكن المعروف في المجتمعات العربية أن العلماء المسلمين كانوا السابقين لدراسة ووصف الشعوب سواء العربية أو غيرها خاصة أولئك الذين جابوا الأقطار المختلفة وكانوا أنثروبولوجيين بمعنى الكلمة، قبل أن يظهر هذا المصطلح في أوروبا ومنهم ابن بطوطة، ابن خلدون وآخرون كثير. ولقد قام هؤلاء العلماء الرحالة برحلاتهم اقتداء بقول الله تعالى ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق﴾⁵ وقول الله تعالى ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾⁶

لقد قام هؤلاء العلماء بوصف المجتمعات المختلفة ودراستها بطريقة انثروبولوجية مستعملين في تحليلاتهم مصطلحات انثروبولوجية بحثة مثل النسبية الثقافية، وغيرها.

(3) الأنثروبولوجيا والقرآن الكريم:

وإذا ما توجهنا صوب علم الإنسان القرآني نجده ذلك العلم الذي يتخذ من القرآن مرجعاً ومنطلقاً مؤسساً لكل ما يتعلق بالإنسان، و مبعداً للتصورات التنظيرية المادية الغربية التي لا تركز على الحقائق العلمية.

يعرض علينا القرآن الكريم سيرة الإنسان منذ بدء الخليقة، ويتعرض لحياته سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بكثير من التفاصيل. ويذكر لنا مجتمعات وثقافات ومعتقدات وقيم وعادات وتقاليد سادت في عصور غابرة. فيحدثنا عن حياته، معتقداته، طقوسه، وتنظيماته ويتعرض أيضاً إلى جانبه الشكلي من لون وتنوع ديني ولغوي وغيرها من الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان.

لقد تطرق القرآن لتاريخ الحضارات البشرية وتنوعها، حيث قال الله تعالى ﴿إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾⁷ كما عرض مسألة التعدد الشكلي، واللوني، والثقافي، فقال تعالى ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾⁸ وتحدث عن الصفات البشرية قال تعالى ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾⁹

كما تطرق القرآن لمسائل أنثروبولوجية بحثة فتحدث عن القبائل والشعوب وعن الثقافات المختلفة ووصفها، ولكن لم تكن الغاية منها فرض السيطرة واستعمار الشعوب على أساس المركزية الثقافية الغربية مقارنة مع الشعوب التقليدية، وإنما ترك للناس حرية الاختيار، وقبول التعايش مع الآخر.

وعن بداية خلق الإنسان والتي اختلف فيها الكثير من العلماء الأنثروبولوجيين على اختلاف مشاربهم ولكن نجد أن هذا الأمر قد عرض في القرآن، قال تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾¹⁰

وقال تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾¹¹ وقال أيضا ﴿فلينظر الإنسان مم خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾¹²

وقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾¹³ ثم قال تعالى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾¹⁴

وذكر أيضا في نفس السياق ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء﴾¹⁵

أما عن نظرية التطور الدروينية و أن أصل الإنسان قرد فقد فصل فيها القرآن منذ زمن حيث قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹⁶ وقال أيضا ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾¹⁷

لقد خلق الإنسان بنفس شكله فلا تغيير ولا تبديل في خلقه من حيوان إلى إنسان. قال تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾¹⁸

وهو مكرم بتكریم من الله عز وجل: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾¹⁹

وقد خلق الإنسان بكل تلك الخصائص من اجل غاية قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾²⁰

وهي تشتمل على عدة أمور مبينة قال تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾²¹

وعن الاختلاف ما بين المجتمعات والشعوب وهو المر الذي تنادي به الانثروبولوجيا قال تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾²²

خاتمة:

عرض القرآن الكريم وحدة الجنس البشري وفهم الإنسان للإنسان بلا فوارق وهذا ما تسعى إلى تحقيقه الأنثروبولوجيا، والإسلام بالقرآن قد علم الأمم الأخرى العلم ودفعها للبحث العلمي الذي يعتبر الآن عماد التقدم الذي حصل في ميادين العلم المعاصر. و الإسلام هو أيضا الذي دفع المسلمين على الترحال وكشف مجاهل الأرض وتعميرها بالزراعة والتجارة والتنظيم والتعليم وغيرها ... ولقد اهتم الإسلام من خلال القرآن بالإنسان من كل جوانبه؛ جسديا عقليا وفكريا، فهو يحقق إنسانية الإنسان بامتياز.

المصادر و المراجع:

- 1- سورة الروم، الآية 22
- 2- سورة البقرة الآية 243
- 3- شاكر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، 1981، ص. 56.
- 4- حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، ص 13
- 5- سورة العنكبوت، الآية 20
- 6- سورة النساء، الآية 100
- 7- سورة الفجر، الآية 7
- 8- سورة الروم، الآية 22
- 9- سورة الفرقان، الآية 67
- 10- سورة الانسان، الآية 76
- 11- سورة السجدة، الآية 7.
- 12- سورة الطارق، الآية 5-7
- 13- سورة المؤمنون، الآية 12
- 14- سورة الحجر، الآية 29
- 15- سورة النساء، الآية 1
- 16- سورة آل عمران، الآية 6
- 17- سورة التين، الآية 4
- 18- سورة النور، الآية 45
- 19- سورة الاسراء، الآية 70
- 20- سورة الذاريات، الآية 56
- 21- سورة الأنعام، الآية 162
- 22- سورة الحجرات، الآية 13.